الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

السنة الثالثة فنون درامية/ السداسي الخامس

مقياس: نقد مسرحي حديث ومعاصر

المحور الثاني: المناهج النقدية الحديثة في المسرح

المحاضرة رقم 06 بعنوان:

" المسرح بين البنية الدرامية والتحولات المجتمعية "

يُعدّ المنهج النقدي الاجتماعي أحد أهمّ المقاربات المعاصرة في تحليل الخطاب الأدبي، إذ يفترض النظر إلى علاقة النص بالمجتمع، من خلال دراسة تمثّل الاجتماع داخل النص، لا الظروف الاجتماعية المحيطة بالنص خارجه. ويهدف هذا المنهج إلى الكشف عن الكيفية التي يُدوَّن بها الاجتماع في البنية النصية، سواء عبر بنية الخيال، أو بناء الحكاية، أو الخصائص الأسلوبية. ويرى النقد الاجتماعي نفسه تجسيدا لوعي المجتمع، مرتبطا بقراءة الأيديولوجيا في إمكاناتها النصية، كما يعدّ نقدا يعالج الصلة الموضوعية بين العمل الفني أو الأدبي والمجتمع الذي نشأ فيه. وإذ يتكئ هذا النقد على صلات وثيقة بالعلوم الإنسانية التي تدرس الإنسان بوصفه كائنا اجتماعيا، كالفلسفة والتاريخ وعلم النفس، فإنه يكتسب بعدا معرفيا واسعا يتجاوز حدود القراءة الجمالية الخالصة.

وقد طُبّق المنهج النقدي الاجتماعي في بداياته على الروايات الواقعية والطبيعية، وعلى الأعمال ذات الارتباط الواضح بمجتمعها وبُناها الأيديولوجية. ثم تطوّر مع مطلع سبعينيات القرن العشرين، ليلتقي مع علم اجتماع الأدب من جهة، ومع المقاربات الشكلية للفعل الأدبي من جهة أخرى. غير أنّ تطبيقه على المسرح ما يزال في مراحله الأولى، بالمعنى الدقيق للنقد الاجتماعي، ويعود ذلك إلى تعقّد العلاقة بين النص المسرحي والتاريخ وتحوّلاته، وهي علاقة لم تستنفد بعد إمكانات البحث فيها.

وتتعدّد مهام النقد الاجتماعي في المسرح، وتتنوّع قواعده وإجراءاته، ويتجلّى ذلك في جملة من الأسس أبرزها: تبادل الخطاب، النظام الدرامي، علاقة النص بالممارسات المسرحية، وظيفة المخرج كوسيط، العلاقة بين النص والعرض، وتحليل التناقضات الأيديولوجية. وعلى الرغم من أن هذا المنهج ما يزال في طور بلورة هويته الخاصة داخل الحقل المسرحي، إلا أنه يختلف جوهريا عن المقاربات الاجتماعية الأخرى ذات الصلة بالمسرح:

- يدرس علم الاجتماع تكوين الجمهور وتحوّلاته، ويحلّل عملية التلقي وفق الأطر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.
- يدرج علم الاجتماع ثقافة المسرح ضمن التطوّر العام للثقافة في المجتمع.
- يعتمد علم اجتماع المؤسسات على تحليل البنى الثقافية والأدبية وأنماط الإنتاج والاستهلاك والنقد والنشر.
- يفحص الجمهور لفهم درجات التماسك والاختلاف وأهمية التحولات المحتملة.
- يحلل العرض المسرحي في تحققّه داخل الظروف المسرحية المباشرة.
- يدرس الجماعة المسرحية بوصفها فرقة محترفة ذات موقع اجتماعي محدَّد.
- يبحث في العلاقة بين الخيال النصي والخيال المسرحي والمجتمع المنتج أو المتلقي لهذا الخيال.
- يقارن الوظائف الممكنة للمسرح بحسب بنيات المجتمع وتحولاته.

وتتجه سوسيولوجيا المسرح، في جوهرها، إلى البحث في صورة المسرح داخل المجتمع وصورة المجتمع داخل المسرح، مما يجعل هذين البعدين مجالها المركزي. ومن هنا تتأسس أهمية دراسة خطاب النقد المسرحي بوصفه خطابا منبثقا عن مؤسسة اجتماعية تُعنى بالاستجابة للتغيرات التاريخية والاجتماعية. فالمؤسسة النقدية، بما أنها بنية اجتماعية تتكوّن من فئات محدّدة، تعمل ضمن سياق سوسيولوجيا التوصيل على تحديد وظائف المسرح وشروط إنتاجه وتلقيه، اعتمادا على معايير اجتماعية وثقافية واضحة.

أما المنهج النقدي الاجتماعي في المسرح، فهو منتوج نابع من المؤسسة النقدية في لحظة تاريخية واجتماعية معيّنة، يسعى إلى الاستجابة للتحولات التي يفرضها الواقع، وإلى تلبية الحاجات التي تتصوّرها المؤسسة النقدية من داخل المجتمع. ويتصف هذا الخطاب بخصيصتين متلازمتين: فهو من جهة خطاب منفتح على ذاته، ومن جهة أخرى منفتح على الخطابات التي تنتجها مؤسسات المجتمع، كخطابات السياسة والاقتصاد والاجتماع والأيديولوجيا، مما يمنحه طابعا تركيبيا يتفاعل مع مختلف الخطابات المتقاطعة أو المتجادلة معه.

ولتجسيد هذا المنهج في النقد المسرحي، ينبغي الالتزام بجملة من المعايير النقدية، من أبرزها:

- ارتباط المنهج النقدي الاجتماعي بالفلسفة الجمالية الاجتماعية، وهي إحدى أهمّ فروع العلوم الإنسانية.
- قيامه على صلة جوهرية بعلم الاجتماع، باعتبار الفن والأدب انعكاسا لبنية الواقع الاجتماعي.
- اهتمامه بطبقات المجتمع بوصفها مؤشرا نقديا فاعلا في تحليل العمل الفني.
- اعتماده على التطورات الحاصلة في العلوم الإنسانية المختلفة، ولا سيما تلك المتصلة مباشرة بالشؤون الاجتماعية للإنسان.

- استفادته من خصائص علم الاجتماع والتاريخ والجمال والفلسفة وعلم النفس في بناء آليات التحليل النقدي للعمل المسرحي.
- سعيه إلى توظيف مبادئ الفن والأدب لتجسيد صورة المجتمع الذي ينتمي إليه العمل أو ينشأ منه، واتخاذ هذه الصورة مؤشرا معياريا في التحليل.
- ارتباطه بالواقعية، وإيمانه بأن الفن والأدب ممارستان لصيقتان بالمجتمع.
- تأسيسه على نظريات علم النفس في مقاربة الفعل المسرحي أو الأدبي.
- تركيزه على المُبدع والمنجز الإبداعي بوصفهما أساس العملية النقدية المسرحية.
- اعتماده على أساليب الحلم والبعد الأسطوري والميتافيزيقي في القراءة.
- اعتباره اللاوعي والتحليل النفسي محورا من محاور الفعل النقدي.
- دعوته إلى تعزيز التواصل بين الأيديولوجيات، وفتح الحوار، وكشف الاستبداد والدكتاتورية والتخلف السياسي والاجتماعي، والسعي نحو التحضّر والحرية، وتجسيد هذه المبادئ في الخطاب النقدي المسرحي.

المكتبة البيبليوغرافية:

- ستانلي هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ج1.
- عاطف العراقي، ثورة النقد في عالم الأدب والفلسفة والسياسة.
- عيد الدحيات، النظرية النقدية الغربية: من أفلاطون إلى بوكاشيو.